فى حال الأبتدآء ثم يسقطها الأدراج الذى عليه مدار الكلام فان قيل من اين نعلم ان العرب راعت هذا الامر وعنيت باحواله حتى تحامت هذه المواضع وما انكرت من ان يكون القوم اجفا طباعًا وابيس طبعًا من ان يصلوا من النظر الى هذا القدر اللطيف الدقيق الذى لا يصح لذوى الدقة والرقة منا ان تتصوره الا بعد ان توضح له اتحاذه وتشرح له اعضاؤه قيل لعمرى ما ابعدك عن تصور احوالهم وبُعد اغراضهم ولطيف اسرارهم حتى كانك لم ترهم وقد ضايقوا انفسهم وخففوا عن السنتهم بان اختلسوا الحركات اختلاسًا واخفوها فلم يمكنوها فى اماكن كثيرة الا ترى الى قراءة ابى عمرو مالك لا تأمنا على يوسف مختلسا وكذلك قوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى مخففًا وكذلك قوله فتوبوا الى بارئكم مختلسًا غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ الى ان ادعا ان ابا عمرو كان سكن الهمزة والذى رواه صاحب الكتاب اختلاسها لا حذفها البتة وهو اضبط لهذا الأمر من غيره من القرآء الذين رووه ساكنًا ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف امانة ولكن من ضعف دراية وابلغ من هذا فى هذا المعنى ماروآه من قول الآخر

متى انام لا يوقرنى الكرى ٭ ليلًا ولا اسمع اجراس المطى ٭

باشمام القاف من يوقرنى ومعلوم ان الأشمام للعين دون الأذن ولو كان فيه حركة ٭ لانكسر الوزن وخرج من الرجز الى الكامل فهذا كله يدل على عنايتهم بهذا الأمر الا ترى الى مصارفتهم انفسهم فى الحركة على قلتها ولطفها حتى يخرجوها تارة مختلسة غير مشبعة واخرى مشمة للعين لا للأذن ومما اسكنوا الحرف فيه اسكانا صريحا ما انشده من قوله

رُحتِ وفى رجليك ما فيهما ٭ وقد بدا هُنْكِ من المئزر ٭ بسكون النون من هُنْكِ

وقال جرير

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم ٭ ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب ٭ انشدناه ابو على وقد سئل عن قول الشاعر

فلما تبين غب امرى وامره ٭ وولت باعجاز الأمور صدور ٭

وقال الراعى

تابى قضاعة ان تعرفكم نسبا ٭ وابنا نزار فانتم بيضة البلد ٭

وعلى هذا حمل ابيد لبيد

تزال اماكنة اذا لم ارضها ٭ او يرتبط بعض النفوس حمامها ٭

وبيت الكتاب

فاليوم اشرب غير مستحقب ٭ اثما من الله ولا واغل ٭

وعليه انشده من قوله

اذا اعوججن قلت صاحب قوم ٭ واعتراض ابى العباس على ذلك انما هو رد للرواية وانكار للسماع بمجرد الشهوة ومنه اسكانهم نحو رسْل وعجُز

وعضُد

وعَضُد وظَرُف وكَوُم وكَبِد وكَيِف واستمرار ذلك فى المضموم والمكسور دون المفتوح ادل دليل على فصلهم بين الفتحة واختها وعلى ذوقهم الحركات واستثقالهم بعضا واستخفافهم بعضا وقد ذكر ابو حاتم السجستانى فى كتابه الكبير فى القرآت قال قرأ على اعرابى بالحرم طيبى لهم وحسن مآب فقلت له طوبى فقال طيبى فاعدته فقلت طوبى فقال طيبى فلما طال علىّ قلت طوطو فقال طى طى قال ابو الفتح وسألت يومًا ابا عبد الله محمد بن العسّاف العقيلى الجُوّنى التميمى تميم جُونة فقلت له كيف تقول ضربت اخوك فقال اضربت اخاك فاديرته على الرفع فابى وقال لا اقول اخوك ابدًا فقلت كيف تقول ضربنى اخوك فرفع فقلت الست تزعم انك لا تقول اخوك ابدًا فقال ايش هذا اختلفت جهتا الكلام فهل هذا الا ادل شئ على تاملهم مواقع الكلام واعطائهم اياه فى كل موضع حقه واما السؤال عن علة عدل عمر وجشم وسائر نظائرها الى فعل عن فاعل دون ملك وحاتم ونظائرها فقد تقدم الجواب عنه وهو انهم لم يخصوا ما هذه سبيله لامر خصه دون غيره لكن لاعتراضهم طرفا مما اطف لهم من جملة لغتهم كما عنّ وعلى ما اتجه وعلى مثل هذا فاعتمد فيما يرد عليك من هذا النحو اذا تعذر عليك وجه مقطوع به فانك لا تعدم مذهبًا من الأستخفاف والأستثقال تسلكه وسنذكر بعد بابًا فيما يجوز السؤال عنه مما لا يجوز ومما يدل على لطف القوم ورقتهم مع تبذلهم وبذاذة ظواهرهم قول جميل فى خبرله

وقد رابنى من جعفر ان جعفرًا ٭ يبث هوى لبنى ويشكو هوى جُمل ٭

فلو كنت عذرى الصبابة لم تكن ٭ بطيئًا وانساك الهوى كثرة الأكل ٭

وقول عمر ابن ابى ربيعة

قليلًا على ظهر المطية ظله ٭ سوى ما يقى عنه الرداء المحبّر ٭

وهذا موضع لو جمع لاتسع ويكفى من ذلك ما حكاه من قول بعضهم لصاحبه الا تا فيقول الآخر مجيبًا الا افا وقول الآخر قلنا لها قفى لنا قالت قاف ثم تجاوز ذلك الى ان قالوا رُبَّ اشارة ابلغ من عبارة نعم وقد يحذفون بعض الكلم استخفافا هذا يخل بالبقية ويعرض لها الشبهة الا ترى الى قول علقمة

كأن ابريقهم ظبى على شرف ٭ مقدم بسبا الكتان ملثوم ٭

اراد بسبائب وقول لبيد ٭ درس المنا بمتالع فابان ٭ اراد المنازل وقول الآخر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)